تمثلات المقاومة الثقافية في التشكيل الفلسطيني المعاصر

شهد صباح مجيد
أ.د. عقيل صالح فيصل آل شاروخ
جامعة البصرة – كلية الفنون الجميلة

(بحث مستل من اطروحة دكتوراه)

الملخص

تتقدم القضية الفلسطينية كدولة محتلة في عالمنا المعاصر جل القضايا الإنسانية عامة والعربية خاصة, فمنذ النكسة التي جعلت من أرض فلسطين العربية موطناً لجماعات متناثرة حول العالم لايجمعها سوى العقيدة ,تصارع فلسطين وجودها التاريخي العريق وروحها العربية من خلال ثقافتها التي تشكلت طوال التاريخ الفلسطيني المرتبط بالمنطقة العربية وما قدمته الجغرافية الفلسطينية بما تحوية من عوامل بيئية ودينية وحضارية كونت طبيعة المجتمع الفلسطيني كنتاج ثقافي لهذا البناء العريق والعميق الضارب في القدم , وتساهم الأرض الفلسطينية المقدسة بقداسة العقائد التي كانت القدس وفلسطين مسرحاً لاحداثها الدينية التي تجعلها بؤرة الأديان السماوية في تأسيس وتمكين أسم فلسطين ارضاً حاولت الطبقة الثقافية في فلسطين من مبدعيها استعمالها لأثبات وجود فلسطين , ولاسيما فنونها المتنوعة التي يتصدر الفن التشكيلي منها منصة مهمة تبعث من خلالها الفلسطينيون رسائلهم المقاومة للإحتلال , وجاء هذا البحث ليسلط الضوء اولا على طبيعة الثقافة الفلسطينية وقيمها وعناصرها المميزة ويرصد رصد فنونها لتلك الثقافة لتمكين الوجود الفلسطيني كنوع من المقاومة السلمية .

الكلمات المفتاحية (المقاومة , الثقافة الفلسطينية , التشكيل الفلسطيني)

المقاومة : لغة // عرفت المقاومة في اللغة من مصدر الفعل (قاوم) ,يقال قاوم الشعب المحتلين –أي واجههم وتصدى لهم معارضاً ومكافحاً, ويُقال قاوم الأغراء أي واجهه وصمد ولم يستسلم له , وأسم الفاعل (مقاوم) بكسر الواو وجمعة (مقاومون) وهم المناهضون لمحتل أو طاغية , والفعل المجرد للمقاومة (قام –يقوم- قوماً –قياماً) [i]

اصطلاحاً // المقاومة : هو إستخدام لكافة أشكال الأعمال المعبرة عن رفض الإحتلال , وضد النظام الفاسد الستبد وذلك بإتاحة إستخدام العمليات المسلحة للإضرار بالعدو وإنهاكه مادياً ومعنوياً, والإستخدام المعروف عربياً للمقاومة هو اللجوء للكفاح المسلح ضد القوى المحتلة .

اجرائياً // تمثل المقاومة هو العمل أو الإجراء المتخذ من قبل الفرد أو الجماعة فيكون عملاً جماعياً للتعبير عن الرفض للاستبداد والسلطة أو أي نظم جائر بوسيلة عسكرية او ادوات اخرى تدخل ضمن العمل السلمي.

اهمية البحث والحاجة اليه

تتجلى أهمية البحث في الكشف عن الدور الثقافي في المقاومة الفلسطينية, وهو الشق السلمي من الإنتفاضة الفلسطينية المستمرة ضد الإحتلال, وهو بحث يرنو إلى تأكيد دور الفن والعنصر الثقافي الشعبي في تأكيد الهوية والحفاظ على الألتزام الحضاري بالأرض ووحدة المجتمع كون تلك الوحدة تتجلى روابطها بالعناصر الثقافية وتبلورها عبر تاريخ الحضاري للشعب وفلسطين أحوج إلى تأكيد هذه الهوية للحفاظ الكيان الفلسطيني .

هدف البحث

الكشف عن تمثل المقاومة الثقافية في التشكيل الفلسطيني المعاصر .

حدود البحث

الحدود الموضوعية : المنجزات الفنية للفنانين الفلسطينيين .

الحدود الزمانية : (٢٠٠٠- ٢٠٢٠)

تحديد المصطلحات وتعريفها

تمثل Assimilation في القرآن الكريم قال تعالى (فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا) (سورة مريم ,الاية ١٧) وقد ذكر التمثل مرة واحدة في القرآن وهو في سورة مريم وجاء بمعنى التمثيل اللغوي فأن معنى تمثيل شيء لشيء في صورة كذا وهو تصوره عنده بصورته وهو هو لاصيرورة الشيء شيئا اخر ,فتمثل الملك بشرا هو ظهوره لمن يشاهده في صورة الانسان ,لا صيرورة الملك انسانا "[ii]

لغة : "تمثل الشيء :ضربه مثلا ,والتمثال بالفتح والتمثيل بالكسر :الصورة ومثله له تمثيلا :صورة له حتى كأنه ينظر اليه . وامتثاله هو تصوره"[iii].

أصطلاحاً : تمثل الشيء تصور مثاله ومنه التمثل وهو حصول صورة الشيء في الذهن أو أدراك المضمون المشخص لكل فعل ذهني. او تصور المثال الذي ينوب عن الشيء ويقوم مقامه ، ويطلق التمثيلي على الصورة التي ترجع إلى الذهن عن غياب الشيء الذي تمثله[iv].

أجرائياً : تمثل الشيء هو مثال الشيء متجسداً في شيئا اخر شكلاً أو مضموناً ، ويكون الشيء حاضراً في شيئاً آخر بفكره أو صورة .

المبحث الأول // الثقافة الفلسطينية – تاريخ الأرض والهوية

ترتبط الثقافة الفلسطينية بأرض تمتد في التاريخ العميق للبشرية, تاريخ حافل بكل إمتداداته الحضارية التي أثرت في ذهنية وقيم الإنسان الفلسطيني, ثقافة متنوعة بتنوع مصادرها الدينية والشعبية الممتدة عبر التاريخ الذي أربط بتاريخ العرب الحافل, وقدسية الأرض المقدسة بقداسة الأديان السماوية الإبراهيمية التي كانت فلسطين موطناً لهم أو للأحداث الدينية المرتبطة بالأنبياء, فيكاد يكون لجميع الأنبياء والرسل الذين جاء ذكرهم في القرآن الكريم صلة بفلسطين، فنبي يمر بها، ونبي يدعو فيها، ونبي يدفن فيها، وعيسى عليه السلام رفعه الله إليه منها، ومحمد (ص) أسرى به إليها، وعُرج به إلى السماء منها وهذا مامنح هذه الأرض مكانة مهمة ليس عند الفلسطينيين فحسب بل لجميع أتباع الديانات السماوية والعرب كافة . لم تتوقف حركة التاريخ في فلسطين منذ مطلع الألف الرابع ق.م بسبب إستراتيجية موقعها الذي يوصف بانه أكثر العالم القديم توسطاً ملتقى للطرق ومفارقها، فهي تقع في وسط العالم القديم الذي كان مسرحًا حيويًا للحضارات على مر العصور، وقد ساعدت خصوبة أرض فلسطين وموقعها المتميز على وجود الإنسان فيها منذ أقدم العصور، حيث كان لها دور بارز في عملية الأتصال الحضاري بين المناطق المختلفة في العالم وذلك لموقعها المتوسط منه، مما ساعد على كتابة تاريخها منذ القدم, ذلك التاريخ المعقد لتعدد أحداثه وتواليها وإختلاف البلاد والشعوب التي غزتها أو مرت بها أو مكثت فيها, تلك الأحداث والشعوب صنعت تاريخ فلسطين العتيق والعريق[v] مر الإنسان في فلسطين بحسب التركات الأثرية بعدة مراحل ,تدخل تلك المراحل في طور التطور الذي أحدثه الإنسان لنفسه عبر إنتقاله من الكهوف إلى السهول وتعلمه الزراعة في الأراضي المنبسطة, وإستقراره في المكان أحدث تغيراً في النواحي الإقتصادية والإجتماعية والمعمارية في فلسطين، ولعل أكثر ما يميز هذه الفترة ظهور أعداد كبيرة من المدافن المقطوعة في الصخر بفلسطين، وفي فترات لاحقة تم إكتشاف المعادن ومزجها وتصنيع الأدوات والأواني منها، كذلك برزت المعابد الدينية في تلك الفترة والتي بينتها المكتشفات الأثرية في العديد من مدن وقرى فلسطين، وقد أشتغل معظم سكان هذه المناطق لسهولة الحصول على ايراداتها ولقربها من أماكن السكن وتوفر المناخ المناسب كذلك عمل العديد من السكان في التجارة البحرية وصيد السمك وعلى هذا الأساس فقد تطورت الحياة العمرانية، والتي تدل على نمو سكاني مع أرتفاع مستوى المعيشة وتقدم نظام الزراعة [vi] وفي هذه الفترة تأسست الكثير من المدن المسورة ,التي بنيت على الطرق التجارية التي كانت مستخدمة في ذاك الوقت ، ويلاحظ انتشار المدن المحصنة في جميع المناطق الفلسطينية ومنها المنطقة الساحلية ومرج ابن عامر وسلسلة الجبال الغربية، كما أصبح تأسيس المدن ومرافقها الدفاعية والعامة والسكنية يفرض شيئاً من التخطيط المسبق, إذ شهدت فلسطين في هذه الفترة (١٩٥٠-١٥٥٠) ق.م إنتعاشاً حضارياً ملموساً [vii] **(صورة ١)**

مجلة فنون البصرة – ملحق العدد (٢٥) السنة ٢٠٢٣ ISSN : (Print) 2305-6002 : (Online) 2958-1303

(١)

ويتضح وفقا للمكتشفات الأثرية في مصر والعراق، أن الساميين هم أقدم الشعوب المعروفة على أرض فلسطين واقاموا فيها المدن (ومن الوجهة الدينية يعتبر الساميون في الأصل القبائل المنحدرة من (سام) الأبن الأكبر لنوح (عليه السلام) وأقدمهم الكنعانيين، فمنذ الألف الرابع قبل الميلاد كانوا يعيشون في السهول على شاطئ البحر المتوسط الشرقي وظهرت اللغة في فلسطين (اللغة العربية) مع الساميين الكنعانيين لذا تسمى فلسطين عند علماء الآثار بـ أرض كنعان [viii] كما أخذت اسمها الحالي (فلسطين) بحسب مصادر من (فلسطين) أحد أحفاد النبي نوح وفي مصادر أخرى نسبة الى قوم من شعوب البحر سيطروا على مصر في عهد (رميسيس الثالث-١١٨٦-١١٥٥ق.م), وفي رأي أخر فإن إسم (فلسطين) جاء نسبة إلى (فلسطين) بن (سام بن أرم بن سام بن نوح)[ix]• اذ ترتبط فلسطين ببداية تاريخها الحضاري بالكنعانيين بكل أوجهها , فقد سكن الكنعانيون فلسطين وأشتهروا بالزراعة والصناعة وبرعوا في التعدين وصناعة الخزف والزجاج والنسيج والثياب كما برعوا في فن العمارة، وتأتي الموسيقى والأدب على رأس الهرم في الحضارة الكنعانية، حيث لم يعتن شعب سامي بالفن والموسيقى كما عني به الكنعانيون، فقد اقتبسوا كثيراً من عناصر موسيقاهم من شعوب مختلفة توطنت الشرق الأدنى القديم، وذلك لأن طقوس العبادة الكنعانية كانت تقتضي إستخدام الغناء، وهكذا أنتشرت ألحانهم وأدوات موسيقاهم في جميع بقاع المتوسط [x] عرفت فلسطين خلال تاريخها العديد من الهجرات والإجتياحات كان من بينها إجتياح (الأسكندر المقدوني) سنة (٣٣٤ ق.م) عبر البحر من اليونان قادماً إلى آسيا الصغرى وأحرز أول إنتصار على الفرس في معركة (غرانيكوس Granicus)، ليضمها الى إمبراطورته (٣٣٢ق.م), وبعد وفاته مرت الإمبراطورية بحالات عديدة من الحروب والنزاعات الداخلية ففي سنة (١٧٥ ق.م) قامت في فلسطين حرب (المكابيين) ضد السلوقيين وهي الحرب التي إستمرت أربعين سنة وأنتهت بقيام الأسرة الحشمونية التي قضى (بومبي) عليها سنة (٦٣ ق.م)عندما أحتل القدس، فأصبحت فلسطين عندئذ جزءاً من الدولة الرومانية كما الحال في بلاد الشام إلا إن الحدث الأكبر الذي غير من التاريخ الفلسطيني هو ولادة السيد المسيح(عليه السلام) والذي نقل فلسطين إلى أرض مقدسة ومركزاً دينيا مهماً, إذ ولد السيد المسيح عليه السلام في بيت لحم وقسمت هذه الفترة إلى ثلاثة أدوار:

- الدور الأول هو الذي تلا أيام المسيح مباشرة والذي يسمى عصر الرسل (٣٠-٩٥م).
- الثاني يمتد نحو قرن من نهاية القرن الأول إلى أواخر القرن الثاني.
- وينتهي الثالث بإعتناق الإمبراطور الروماني (قسطنطين Constantine's ٢٧٢-٣٣٧م) المسيحية بتأثير من والدته القديسة هيلانة سنة (٣١٢م),وقد ألغى بعدها مرسوم (ميلانو) الذي يقضي بعقوبات على معتنقي المسيحية, وكان لأعتناق (قسطنطين) المسيحية نقطة تحول لهذه الديانة على مستوى العالم وفلسطين مهد المسيحية خصوصاً [xi]

الفتح العربي الإسلامي كان للعرب في الجاهلية رحلة تجارية تسافر قوافلهم بها خلال الصيف الى بلاد الشام والتي منها القدس, وقد شارك الرسول (ص) برحلتين إلى بلاد الشام, ومنذ دخول الإسلام أصبحت القدس لما تمتلكه من تاريخ حين وطئت الأنبياء أقدامها وعاشت فيها ولما شهدته القدس أحداثا دينية فقد كانت للقدس وفلسطين مكانه كبيرة في الديانات الإبراهيمية , فكان المسجد الأقصى موجهاً ومركزاً (قبلة) لتوجه المسلمين للصلاة باتجاهها, ومن بعدها تشرفت القدس بمعراج النبي من صخرة بيت المقدس (ص) نحو السماء في ليلة الاسراء [[سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا Ω إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ

مجلة فنون البصرة – ملحق العدد (٢٥) السنة ٢٠٢٣ ISSN : (Print) 2305-6002 : (Online) 2958-1303

الْبَصِيرُ]][xii]وقد وضعت رحلة الرسول في الاسراء فلسطين بمنزلة عظيمة عند المسلمين دفعتهم لتوجيه الجيش الإسلامي في عهد الخليفة (عمر بن الخطاب) إلى بلاد الشام وكانت بصرى أول مدينة من مدائن الشام فتحت في خلافة (أبي بكر)، ثم ساروا إلى فلسطين وشهدوا معركة ضارية بينهم وبين الروم البيزنطيين في موقعة أجنادين في عام (١٣هـ/ ٢٩أو ٣٠ تموز/ يوليو ٦٣٤م) كانت أجنادين نصراً كبيراً للمسلمين وأضطر الجيش البيزنطي إلى الهرب من ساحة المعركة إلى مدينة فحل على الضفة الشرقية للأردن قرب منطقة (بيسان)، فحاصرهم الجيش الإسلامي هناك قبل أن يستسلم أهل فحل للمسلمين ودفع الجزية ,أهم ما شهدته هذه المرحلة هو بناء المسجد الأقصى بتوصية من (عمر بن الخطاب) ببناء مسجد فوق الصخرة التي عرج منها الرسول (ص) وبعد عام تم الإنتهاء من فتح فلسطين وأصبحت قبلة لتوجه الحجيج من المسلمين إتجاهها ومن هنا أخذت فلسطين الطابع العربي إستمرارا لتاريخها الكنعاني, وأصبحت إقليماً تابعاً للدولة الإسلامية ونعمت في ظل هذا الحكم بفترة من الإستقرار لم تعرفها ثم شهد المسجد الاقصى في العهد الأموي بناء مسجد (قبة الصخرة) تُعتبر قبّته من أهم وأبرز المعالم المعمارية الإسلامية في فلسطين حيث حملت هذا المسجد [xiii]

المسجد الاقصى

مسجد قبة الصخرة

<u>الأحتلال العثماني وفكرة الإستيطان الصهيوني</u>

بقيت فلسطين تنتقل عبر فترات تاريخيه في العصور الإسلامية بعد العهد الأموي وسيطرة العباسيين وحكم الدولة الإسلامية ومن بينها فلسطين ثم الحكم المملوكي وآخرها السيطرة العثمانية ,وأنضوت فلسطين شأنها شأن معظم أقطار الوطن العربي في إطار الدولة العثمانية التي دام حكمها قرابة الأربعة قرون إمتد سلطان الدولة العثمانية المتمركزة في أسطنبول على البلقان والأناضول خلال قرنين من الحروب والتوسع, وفي نهاية فترة الحكم العثماني ومع بدء الإنهيار الإقتصادي للإمبراطورية العثمانية برزت طموحات الصهيونية في فلسطين مستغلين بذلك الوضع الإقتصادي لتركيا آنذاك, إستطاع (تيودر هرتزل) أن يستحصل اولاً تأييد أوروبي لوضع وطن لليهود في فلسطين من الدول (بريطانيا وفرنسا والمانيا) , تلك الدول التي كانت تسعى الحركة الصهيونية لجعلها قوة ضغط على الدولة العثمانية لتسليم فلسطين لليهود وإغراء الدولة العثمانية بالمال وحل مشاكلها المالية نتيجة منحهم فلسطين, إلا إن هذه الجهود بائت بالفشل بعد رفض السلطان العثماني (عبد الحميد الثاني) تسليم فلسطين برسالة أرسلها إلى (هرتزل) عن طريق مبعوثه (نيولنسكي) جاء فيها "انصح صديقك هرتزل، ألا يتَّخذ خطوات جديدة حول هذا الموضوع، لأني لا أستطيع أن أتنازل عن شبر واحد من الأراضي المقدَّسة، لأنَّها ليست ملكي، بل هي ملك شعبي. وقد قاتل أسلافي من أجل هذه الأرض، وروووها بدمائهم؛ فليحتفظ اليهود بملايينهم، إذا مزّقت دولتي؛ فمن الممكن الحصول على فلسطين بدون مقابل، ولكن لزم أن يبدأ التمزيق أولا في جثتنا، ولكن لا أوافق على تشريح جثتي وأنا على قيد الحياة"[xiv].

مجلة فنون البصرة – ملحق العدد (٢٥) السنة ٢٠٢٣ ISSN : (Print) 2305-6002 : (Online) 2958-1303

من أقوال ومواقف
السلطان عبد الحميد الثاني
(إنصحوا الدكتور هرتسل بأن لا يتخذ خطوات جدية في هذا الموضوع، فإني لا أستطيع أن أتخلى عن شبر واحد من أرض فلسطين ... فهي ليست ملك يميني ... بل ملك الأمة الإسلامية .. لقد جاهد شعبي في سبيل هذه الأرض وروّاها بدمه .. فليحتفظ اليهود بملايينهم ... وإذا مزقت دولة الخلافة يوماً فإنهم يستطيعون آنذاك أن يأخذوا فلسطين بلا ثمن ..
أما وأنا حي فإن عمل المبضع في بدني لأهون عليّ من أن أرى فلسطين قد بترت من دولة الخلافة وهذا أمر لا يكون . إني لا أستطيع الموافقة على تشريح أجسادنا ونحن على قيد الحياة).
السلطان عبد الحميد الثاني
أستانبول ١٩٠١م

شكل ٤

عاشت فلسطين مابين إحتلالات متتالية فبعد ان إنتهت من الإحتلال العثماني سقطت بيد فرنسا في حملة نابليون بونابرت (١٧٩٨-١٨٠١م) في الحرب العالمية الثانية ثم الإنتداب البريطاني الذي هيء لتسليم ارض فلسطين للجماعات اليهودية المنتشرة في أنحاء العالم بعد الإتفاق مع الحركة الصهيونية والتي كانت قد نضجت في المناخ الحضاري الأوروبي وترعرعت في أجواء السياسة الأوروبية في القرن التاسع عشر, وقامت الفكرة الصهيونية على أساس إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين, ونفذت بصفقة (وعد بلفور) في ٢ تشرين ثاني/ نوفمبر عام (١٩١٧م) جعل هذا الوعد فلسطين موطنا لليهود ونظر الى العرب كجماعات غير يهودية مقيمة في فلسطين شهدت فلسطين منذ بداية الإنتداب البريطاني المهيء للإستيطان اليهودي أشكال متعددة من التهديد لكيانها العروبي وإنتمائها الإسلامي والمسيحي ومحاولة إزاحة هويتها الوطنية والثقافية بكل تفاصيلها التي خطتها الإنتماءات والخصوصيات عبر تاريخها الطويل في محاولة لطمسها وتغييرها لصالح الكيان المحتل ومن أجل إمحاء أي أثر رابط للمجتمع الفلسطيني ثقافياً بارضه لصالح الجماعات اليهودية التي وهي تجمعات لا تجمعها أي روابط سياسية أو اقتصادية أو إجتماعية أو تراثية سوى الرابطة الدينية، و ذوبان هذه التجمعات في المجتمعات التي كانت تعيش فيها، وكذلك فإن الدعوى الصهيونية بوجود "قومية يهودية" لا تعدو كونها بدعة مختلقة لأن هذه التجمعات كانت تفتقر إلى عناصر القومية مثل الشعب الموحد، والرقعة الإقليمية من الأرض التي يقيم عليها واللغة والعادات والتقاليد المشتركة اي لاتجمعهم اي ثقافة مشتركة, فيما خطت الثقافة الفلسطينية وحفرت لنفسها خصوصية وتميزا نبلور عبر تاريخها الطويل المحتمل بالمصادر المختلفة والتي جعلت لفلسطين ثقافتها الخاصة والمميزة والتي تكشف عنها الصور القديمة وتكشف الصور أرض فلسطين لتبدو بأكملها فلسطينية عربية ، من أزياء الفلسطينيين القدامى وأسماء الأماكن، وشكل القرى والمدن ونشاطات أهلها القديمة والفلكلور الفلسطيني ذات الطابع العربي , فالصورة (٥) لامرأة تنظر لارضها ١٩٤٠, كما توثق الصور احداث الحروب منها نساء واطفال يهربون أبان حرب ١٩٤٨ صورة(٦) , وتبرز تلك المشاهد الثقافة العربية الاسلامية لسكان فلسطين متمثلة بالزي العربي واللباس الاسلامي للمرأة (الحجاب) كما تعرض الصورة(٧) أحد أهم الأعمال التقليدية المزاولة من قبل الفلسطينيين وهي الصيد ,إذ تظهر مجموعة صيادين وبالزي العربي بالقرب بحر الخليل اذ تعد مهنة الصيد من المهن القديمة التي مارسها الفلسطينيون منذ الحضارة الكنعانية •

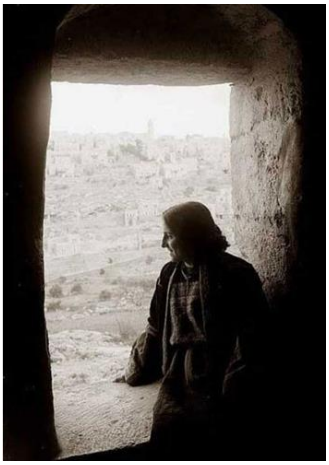

صورة (٥)

صورة (٦)

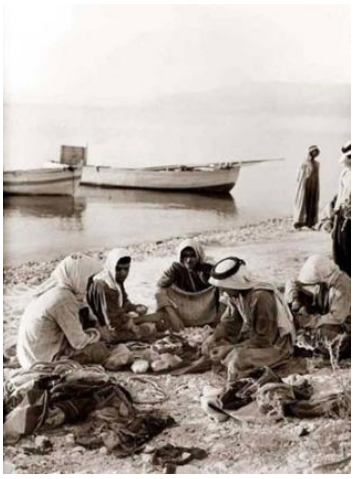

صورة (٧)

وقد واجهت فلسطين العربية الأحتلال والإستيطان بكافة الوسائل رافضة إستغلال أرض فلسطين وإنتزاعها من شعبها العريق الذي ترعرت ثقافته في التاريخ العتيق لهذه الأرض العربية وبدأت قصة طويلة من الكفاح بدئت بالاحتجاجات والثورات واقفين صامدين امام محاولات تهويد كل ماهو عربي في ارض فلسطين المحتلة , وتظهر الصورة (٤) مظاهرات للفلسطينيين ضد الانتداب البريطاني عام (١٩٢٠)

المبحث الثاني // الفن الفلسطيني الحديث

صورة ٨

سعت النخب الفلسطينية بكل مجالاتها الثقافية من أدباء وشعراء ومثقفين إلى الوقوف في مواجهة الإحتلال عبر تمثيل الهوية الفلسطينية والحضارية مستعينين بالذاكرة الجمعية والوعي الجمعي وعلاقة الفلسطيني الوطيدة التاريخية بأرضه, وبما إن الفن والأعمال الفنية تعبر عن طبيعة كيان المجتمع وعن هويته النفسية والإجتماعية والوطنية والمكانية ,من خلال تجسيد الوطن والهوية فنياً, فبرز دور الفن في التأكيد عليها, ولاسيما الفن التشكيلي الذي يقدم نصاً خطابياً عبر رموزه وعناصره التشكيلية من خلال النص البصري الي يترجم التعبيرات والمفاهيم الفكرية لقراءة النتاج الثقافي الحضاري [xv], لهذا فقد وجهت الحركة التشكيلية الحديثة في فلسطين فمنذ قيامها التأكيد على تلك الهوية والثقافة الفلسطينية الحضارية عبر التأكيد على عدد من العناصر التي تشير الى عمق القضية الفلسطينية منها التركيز على المكان, ذلك الجزء المهم من الكيان الإجتماعي فكل مايملكه المجتمع من خصوصيات انما ترتبط بطبيعة المكان ومايتضمنه من علاقات وطيدة بينه وبين الإنسان بما يحمله من مشاعر وذكريات وإنجازات حاكها عبر تاريخه من الاجداد للابناء , فكان تمثيل المكان في الاعمال وسائل للتذكير بأهمية الأرض المسلوبة والتأكيد على علاقة الانسان الفلسطيني بأرضه وهو جزء من وسائل الدفاع عن هوية الفلسطينيين من خلال إعادة تصوير العلاقة بين الفلسطيني وبيته من جهة، والفلسطيني وقريته من جهة أُخرى ,فالمكان بما يحمله من دلالات وعلاقات مختلفة تربط الانسان بواقعه المكاني فيتفاعل كل منهما مع الآخر [xvi] فالمقاومة في الفن للتمسك بالأرض عبر البث الثقافي كانت احد الاساليب والممارسات

مجلة فنون البصرة – ملحق العدد (٢٥) السنة ٢٠٢٣ ISSN : (Print) 2305-6002 : (Online) 2958-1303

التي اتخذها الفنان التشكيلي الفلسطيني لاثبات وجوده على الارض فمنذ النكبة ثم النكسة وما تلاهما من إنتفاضات على مر العقود الماضية كانت "هموم الهوية الفلسطينية" -وفقًا لفنانين من مؤسسي حركة الفن الحديث في فلسطين- دافع كل تشكيلي فلسطيني لتوثيق الهوية ضد الزوالكما أنه "واحد من أهم العوامل التي تدمج أفكار وذكريات وألحان الإنسانية، ويمنح الماضي والحاضر والمستقبل ديناميات مختلفة كما في اعمال الفنان التشكيلي (ابراهيم غنام) أحد مؤسسي الحركة التشكيلية الفلسطينية, مثل غنام في أعماله الحياة اليومية مؤكدا في طرحه المكان لما يمثله من أهمية في إرتباط الانسان بتاريخه ووطنه فجسد القرية الفلسطينية بعاداتها وتقاليدها وممارسات اهها في الزراعة , هذه المشاهد في المجتمع القروي جزء من المحلية الفلسطينية ,فالفلاحة والارض متصلة ومتآصلة ضمن التراث الفلسطيني المحمل بجميع خصائصه الثقافية وعناصره وهنا ايضا يبرز دور الفنان في ابراز هويته البيئية الواقعية [xvii]

شكل ٩

شكل ١٠

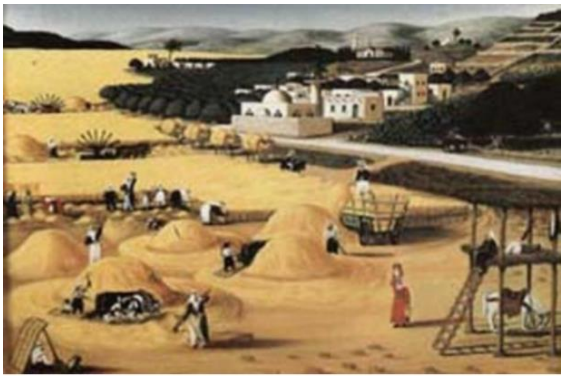

ولايكتفي بمشهد مرئي للبيئة القروية من الحصاد والجبال ومناظر البيوت البسيطة بل يؤكد على تلك التفاصيل التراثية لتأكيد الثقافة والحياة الفلسطينية ,فاللباس الفلسطيني يتجلى واضحا من خلال الثوب المطرز للمرأة الفلسطينية والزي العربي (العقال) والثوب الابيض ويمسك بيده فخارية ليشرب منها الماء , ويكمل الغنام ضمن مجموعته الفنية مشهداً مكملا للحصاد في لوحته (البيدر) التي تقدم مشهداً يقوم فيه الفلاحون في (البيدر) وهي منطقة يقوم فيها الفلاحين بفصل القمح عن السنابل تحضيرا لطحنه وبيعه, ليجمع الفنان في أعماله مشاهداً عادية للحياة الفلسطينية الطبيعية وفي ذات الوقت يؤكد من خلالها على الأرض ومدى إرتباطها بحياة الفلسطيني مع التأكيد على مفردات التراث الفلسطيني المتعددة في فترة الخمسينيات التي عاشها الغنام في فلسطين وهنا يظهر دور الفن ناقلا امينا للحضارة بكل مفرداتتا البيئية الحضارية[xviii] .ومن جانب أخر توجه فنانون لتمثيل المعاناة الفلسطينية والإعتداءات الإسرائيلية اللاإنسانية بحق الشعب الفلسطيني , فلغة الفن التي إستعملها الفنان الفلسطيني لنقل رسائل سياسية لكون الفن والوسائل الثقافية الاخرى هي الاكثر فهما وانتشاراً ولغة الفن لغة مفهومة عالميا , وتهدف الأعمال الفنية التي تخوض في موضوعات الإحتلال بشكل مباشر إلى خلق مقاومة مدنية ثقافية تهدف أولا لايصال صوت الفلسطينيين للعالم ومن جهة أخرى تهدف ثقافة المقاومة لمحاولة تحدي الأنظمة القمعية الجائرة ومضادة لثقافة الهيمنة والأستبداد وإنتهاك حقوق الإنسان بواسطة مجموعة من الخبرات المعرفية والوجدانية والمهارية لمواجهة العدوان واسترداد الحقوق[xix] انطلقت منها في بحثها الفني الدؤوب وصياغتها للواقع الفلسطيني في تلك المرحلة، طرحت واقع النكبة والتشرد والخيام والحنين إلى الوطن فقد وظفت الفنانة التشكيلية (تمام الأكحل) أعمالها لتلقي الأنتباه على ذلك الجدار العازل بكل ما يحمله من دلالات ويسببه من الانعزال بين الأرض الواحدة ليحول الأرض الفلسطينية إلى سجن كبير, فالمعاناة ومايتسبب بها أصبح جزءاً من ثقافة الوطن المحتل بكل تفاصيل ووسائل الفرض والمعاناة التي يعيشها الإنسان الفلسطيني وأصبحت جزءا من حياته اليومية اما الفنان (نبيل عناني) فيتجه تمثيل البيئة الجغرافية الفلسطينية بخصائصها المميزة فتظهر القرية الفلسطينية وشجرة التين والزيتون رمزا للبيئة الزراعية الفلسطينية التي اشتهرت فيها منذ القدم [xx] فقد عرفت زراعة شجرة التين منذ آلاف السنين في عهد الكنعانيين, فهي من أقدم أشجار الفاكهة التي عرفها الإنسان الفلسطيني وأهتم بزراعتها, بالإضافة إلى ماتحمله من ورمزاً دينياً لذكرهما في القرآن الكريم

شكل ١١

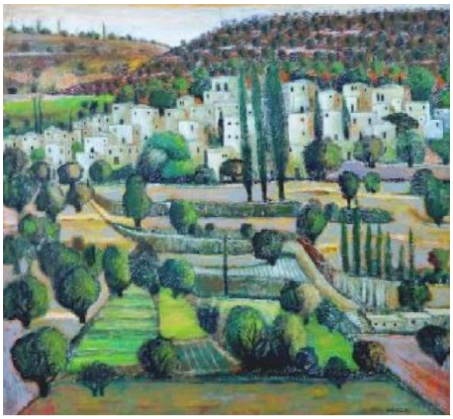

شكل ١٢

ويرتبط الحضور الواسع للمرأة في لوحات المغني وغيره من الفنانين التشكيليين الفلسطينيين، بمكانة المرأة المقدسة عند الكنعانيين، إذ إنها كانت "تتمتع بقدر وافر من الاحترام والنظرة رفيعة المستوى، ولذلك جاءت دعوات الزواج وتكاثر النسل كثيرة في النصوص الكنعانية، لمكوّن الشخصي الذي يمكنه أن يحافظ على تراث الأجداد، من خلال دورها في تكوين المجتمع، وترسيخ ماضيه في أفكار أبنائها وبناتها لذا تركز الاعمال على العائلة التي تبدأ من خلالها اللحمة المجتمعية وترسيخ القيم ومنها التنشئة الاجتماعية ,فالاسرة هي نواة أي تنظيم اجتماعي ومركز للنشاطات الثقافية والمحافظة عليهاوترى الباحثة خلال رصد اعمال رواد الحركة التشكيلية الفلسطينية الحديثة التأكيد على العناصر الثقافية الفلسطينية محاولة منهم التأكيد على تلك العناصر المرتبط بالثقافة الفلسطينية وبالتلي تأكيد الوجود الفلسطيني ككيان اجتماعي وحضاري وثقافي كنوع من المناهضة للمد الكولونيالي ولاسيما في عدم وجود سلطة شرعية لفلسطين في ظل عدم الاعتراف بها كدولة وبالتالي عدم وجود جهة رسمية ترعى فنونها وتدعمها اما في فترة التسعينيات دخل الفن التشكيلي الفلسطيني مرحلة جديدة هذه المرحلة تمثلت باتفاقية (اوسلو)• وقدوم السلطة الفلسطيني كممثل شرعياً للشعب الفلسطيني ,هذا كان له اثراً على حركة الثقافة بشكل عام والحركة التشكيلية بشكل خاص, فكان لإقامة وزارة الثقافة الفلسطينية على أثر قيام حكومة ممثلة عن الشعب وأدى هذه بدوره إلى زيادة في النشاط الفني وقيام مؤسسات فنية حاضنة للفن التشكيلي الفلسطيني منها إقامة المراكز الثقافية ومنه (مركز الواسطي في القدس) ١٩٩٢ من قبل جماعة من الفنانين التشكيليين ومركز (السكاكيني في مدينة (رام الله) ,وبيت الفنانين في (الخليل) ١٩٩٦, وأنعكس هذا على مستوى الطرح الفني حيث أخذت هذه المراكز على عاتقها رعاية الفنانين وإقامة المعارض والندوات والإصدارات العلمية , كل هذا أدى إلى تقدم نمو الفنان فكرياً وتقنياً من خلال الاحتكاك بالفن خارج فلسطين وخاصة الفن المعاصر[xxi]. تنوعت أساليب التعبير للفنان الفلسطيني ولم يعتمد فقط على الاساليب التقليدية بل دخلت التقنيات المعاصرة حيز التشكيل وبمواضيع حملت واقع مايعانيه المجتمع الفلسطيني عبر موضوعات تسلط الضوء على معاناته مع التأكيد على الهوية الفلسطينية من خلال التركيز على مفردات الزي الشعبي والملامح العربية وطبيعة الفن فالفن الفلسطيني الحديث والمعاصر ماهو الا جزء لايتجزء من الحراك الشعبي الفلسطيني لمواجهة الاحتلال, فالتشكيلي الذي اخذ دوره كمقاوم وممثل للمجتمع الفلسطيني الذي ضاعت هويته كدولة ممثلة للهوية الفلسطينية بكل اشكال ثقافتها التاريخية , فاللون والاشكال والطين وكل المواد الفنية عدت وسائل مهمة في المواجهة وتخليد الثقافة الفلسطينية في وطن مسلوب الارض والسيادة وكانت العناصر التاريخية والتراثية وسيلة لتأصيل وتذكير المجتمع الفلسطيني باصله وتاريخه الثقافي القديم .

مؤشرات الإطار النظري

١.تذخر فلسطين بتاريخ عريق مرتبط بأصل كنعاني يمد فلسطين بعروبتها التاريخية القومية .

٢.أرتبطت أرض فلسطين بالعقائد الدينية كمبعث للأديان السماوية أو حاضنة لأهم الأحداث الدينية المتعلقة بالأنبياء.

٣.دخلت القضية الفلسطينية ومحاولة إثبات الوجود الفلسطيني بعد الإحتلال ضمن ممارسات وطبيعة الثقافة الفلسطينية .

الفصل الثالث

اجراءات البحث وتحليل العينة

اولاً: مجتمع البحث

تضمن مجتمع البحث الاعمال الفنية المنجزة في فلسطين والتي تحددت وفق الحدود الزمانية (٢٠٠٠-٢٠٢٢) والتي تم الحصول عليها من مصادر متعددة منها المواقع الرسمية للفنانين وقد بلغت (٤) اعمال .

ثانياً : عينة البحث

بغية تحقيق هدف البحث أتبعت الباحثة الأسلوب القصدي في إنتقائها للعينة من مجمع الاعمال الفنية والممثلة لمجتمع البحث والبالغ عددها (١٥) عملاً والتي انتخبت من من مجتمع البحث الأصلي بما يحقق هدف البحث .

ثالثا: منهج البحث

تماشياً مع اغراض الدراسة الحالية استخدمت الباحثة المنهج الوصفي لتحليل محتوى العينة ويقصد بهذا المنهج وصف نماذج العينة الأساسية التي قامت الباحثة بتحليلها بالإعتماد على المعطيات الفكرية والجمالية التي أسفر عنها الإطار النظري وبما ينسجم مع هدف الدراسة .

رابعاً : اداة البحث

من أجل تحقيق هدف البحث اعتمدت الباحثة أداة الملاحظة فضلاً عن المؤشرات التي انتهى اليها الإطار النظري أداة تحليلية للبحث حيث تم وصف وتحليل العمل الفني على أساس ملاحظة الأشكال فراداً وإدراك بنيته الكلية والعلاقات بين أجزاء العمل ذاته .

خامساً : تحليل العينة

أنموذج (١)

الفنان: فيرا سماري

العمل :الذهاب في جولة

الخامة : مواد متنوعة

السنة : ٢٠٠٢

المصدر : موقع فيس بوك contemporary Arab ceramics ; yacoub al-atoom archives

يعرض المشهد التصويري للفنانة الفلسطينية فيرا تماري مجموعة من سيارات محطمة (حطمتها الدبابات الاسرائيلية عند اقتحامها رام الله عام ٢٠٠٢ حيث قامت بفرض الحصار وقتل المدنيين بالإضافة إلى تدمير مئات السيارات التابعة لسكان المدينة باستخدام الدبابات العسكرية) التي تحولت الى مجرد (سكراب) تظهر على طول امتداد طريق اسفلتي رفيع وسط فضاء مفتوح وبشكل متسلسل وكأنها في حركة مرورية منتظمة تحاول الفنانة من خلال هذا العمل تكوين رؤيتها البصرية بأساليب فنية معاصرة لتوثيق حالة الحرب من خلال إقامة مسرح للحرب باستعارات واقعية من قلب الحدث لتكون شاهدة على الواقعة التي تحاول الفنانة تمثيلها, فالسيارات المحطمة التي قدمتها كأيقونة ومبئراً للأخبار قدمت كشهود حية على حالة الدمار في ايطار دادائي عبثي يأتي رداً بصرياً وعميقاً على عبثية الواقع عبر بقايا سيارات متفجرة، مدمرة، ذات الحديد الممزق وزجاج متطاير وأبواب مفتوحة ومخلوعة عن أساسها كمادة فنية تم جلبها بما تحمله كشاهد حرب بما يتصل به من إرتباطات إنسانية تعد أيقونة محملة بالقلق والخوف والذكريات معبرة عن المعاناة ووحشية العمل الجبان وقد أنبثق المفهوم الدادائي بخاصية القبح التي إستخدمتها الفنانة لإستبعاد الجمال الفني الغير قائم على الفائدة وهذا مايراه (ادورنو) في إن "وراء أستيطيقيا القبح نقدا للهيمنة" فالقبح الفني ماهو الا "فضح القبيح ذاته والعالم الذي صنعه وأدى لحدوثه " فيصبح العمل الفني مع فيرا تماري رسائل إحتجاج فنية مقاومة للعنف والقوة , فالفن هنا ليس فقط أداة توثيق وأداة تعبير فحسب كونه يؤرخ بطريقة غير مباشرة للفظاعات التي ترتكب في الحرب ولاسيما أثرها على السكان بل ايضاً رسائل توبيخ ومذكرة رفض بواسطة فنية محاولة إعادة تركيب ساحة حرب لتثبيت الجريمة وكل متعلقاتها وضحاياها, الفنانة هنا لاتعتمد على ارسال رسالة حول الجرحى والقتلى بشكل مباشر بل توجه رسائل الموت عبر بقايا ممتلكاتهم الشخصية كما تبعث الفنانة من خلال إستعمالها السيارة كأيقونة تحمل ماتحمله من معاني

مجلة فنون البصرة – ملحق العدد (٢٥) السنة ٢٠٢٣ ISSN : (Print) 2305-6002 : (Online) 2958-1303

محملة بذكريات الناس بتلك العجلات فالسيارات ليست مجرد أدوات وسلع منزلية بل هي تشير إلى ملكية تحمل أهمية عاطفية لمعظم الناس وما تسببه الدمار من إيذاء ممتلكاتهم الشخصية العزيزة

وقد أستعانت الفنانة الفلسطينية بعناصر الثقافة الفلسطينية, إذ لم تقدم السيارات بشكل جامد بل أفعمتها بالحياة او لربما لتعيد جزءاً من الحياة لها ومن جهة لتوثق الجريمة بحق الفلسطينيين عبر الاشارة لهم بثقافتهم حيث تضمن العمل جانباً صوتياً حيث كانت السيارات معززة باجهزة الراديو التي تلعب بأصوات الموسيقى الشعبية ونشرات الأخبار وعُلّقت داخلها وعلى مرآة الرؤية الخلفية عناصر من التراث البصري مثل "العين الزرقاء، والكفّ، والمسبحة[xxii]، والتي تشغل جميعهاً في الثقافة الفلسطينية والعربية السامية دور الحماية والحفظ من الأذى والحسد من أجل تأكيد الهوية والتراث الفلسطيني في أعمالها ضمن معالجات بصرية أبرزت فيها العناصر المميزة لهذا التراث والتي ينطوي عمل على رسائل تتحدى الحصار وآلة الدمار الاستعمارية، إذ هو يحول ما هو مُدَمَّر إلى مشهديه تستمد وجودها من فعل الحياة، والرغبة في الإصرار والحفاظ عليها والمضيّ قدمًا فيها.

انموذج (٢)

اسم العمل : القدس

الفنان : هيفاء الاطرش

الخامة : نحت مجسم

السنة : ٢٠٠٦

المصدر : مؤسسة فلسطين للثقافة https://www.thaqafa.org

تقدم الفنانة هيفاء الاطرش تكوين نحتي بيضوي الشكل باستعمال مادة الخشب, يتألف التكوين العام للعمل من رأس امرأة مثل بشكل جانبي حاملة فوقها شكلاً يشبه الإناء يضم أعلاه مجموعة من البنايات المنفذة بأسلوب عمودي بوحدات بنائية متعددة وقد لقت ذلك التكوين بشعرها الطويل المرتفع نحو الأعلى مكونا شكلاً بيضوياً غير مستقر لم يستند الى قاعدة . تطرح الفنانة في هذا العمل رؤية فنية تحققها من خلال مرجعيات عقائدية وحضارية تمثلت في توظيف العنصر البشري المتمثل في رأس امرأة لما تحمله المرأة التي لطالما عدت رمزاً كنعانياً ومتأصلا برموز مكانية تستحضرها وحدات البنائية المعمارية الفلسطينية متمثلة بقبة الصخرة رمزاً إسلامياً ومعلماً محملاً ومتصلاً بتكوينات معمارية أخرى تشير بعضها بإستعمال الرموز الدالة ومنها رمز الصيب الدال على المسيحية فيتحول التكوين البنائي إلى رمزا كنسياً مسيحياً بواسطة تلك الإشارة , وإلى جوارها عدد من الأبنية ذات الطابع التراثي بما يحمله من خواص مثل القباب تعكش طبيعة الطراز العربي الإسلامي في العمارة , وقد عمقت الفنانة من تلك الرؤية بالجمع مابين تلك العناصر لتساهم في بناء حالة تعبيرية تؤثث اللوحة بمديات إنسانية ووطنية وسياسية, فحضور هذه الرموز المعمارية يعد حضوراً رمزياً للقدس المحتلة بممتلكاتها الروحية القيمة التي تتمثل في عمارتها الدينية إعتمدت الفنانة على الجانب الإختزالي في أظهار مكونات العمل التي بدت مندمجة مع بعضها البعض ضمن إطار بنائي, إستعملت فيها الخطوط المقوسة والمنحنية في تحديد تفاصيل الأشكال كما في تسريحة الشعر كذلك تفاصيل ملامح الوجه التي صاغتها بشكل مجرد مع الإبقاء على الملامح الإنثوية , وتميل المكونات البنائية أعلى الرأس إلى الأسلوب البسيط الذي يغلب عليه الطابع الرمزي, فالفنانة لم تدخل في تفاصيل التكوينات بل أكتفت بالإشارة إلى تكويناتها الخارجية معتمدة على إستدراج ذاكرة المتلقي في استحضار جنس التكوين, فعملت على إختزال السطوح مع إبراز التفاصيل الأساسية للتكوين من خلال قراءة العمل بتكويناته الكلية يشير العمل الفني إلى الدافع الفني نحو تمثيل الخصوصية الفلسطينية من خلال إستقدام أهم خصائصها البنائية والتي تعكس عن روح

العقيدة والمكانة القدسية للقدس والتي حملت كتكوينات معمارية على الرأس البشري تمكينا لمكانتها فالعمل الفني اعتمد بالأساس على العناصر المعمارية في تكوين الهيكل الكلي للعمل المندفع نحو تمثيل الثقافة والخصوصية الفلسطينية ولما تمثله تلك التكوينات المعمارية من خصائص معبرة عن مراحل تاريخية وعقائد قدسية فعملت الفنانة على توظيف العناصر المرتبطة بوجدان الإنسان الفلسطيني بواسطة مكانه هكذا تثبت الأمكنة جذورها عميقاً في الوجدان "فثمة علاقة تبادلية مابين بين وعي الإنسان ومشاعره, فالوعي يتعلق بالعلم والمشاعر تتعلق بالفن , وهذه العلاقة التبادلية تنعكس على الصور التي يتخيلها الفنان كما يتأمل البيئة التي يعيش فيها"[xxiii]

انموذج (٣)
اسم العمل: يوما ما
الفنانة :رائدة سعادة
الخامة :فن الاداء
السنة :٢٠١٣
المصدر https://www.alaraby.co.uk/

في العمل تظهر الفنانة رائدة سعادة وسط أحد البلدات الفلسطينية في القدس (الضفة الغربية المحتلة) ماسكة حبلاً مربوطاً بجدار عازل وهي تحاول سحبه نحو الأمام محاولة إسقاطه ويستدعي العمل واحدا من أهم القضايا الإنسانية في فلسطين المحتلة المتمثلة بالجدار العازل بما يحمله هذا الجدار من فرض واقع التقسيم بين أبناء الشعب الواحد ويحول دون سهولة التنقل والتواصل بين الناس في القرى والمدن الفلسطينية كما يظهر على الجدار العازل الأسلاك الشائكة في الأعلى التي تحول دون إمكانية المرور تجسد الفنانة في هذا العمل دور المقاومة السلمية , فجسدها الذي تقدمه رمزا للمرأة الفلسطينية والإنسان الفلسطيني المناضل الذي يناضل في سبيل الخلاص من حالة الاستعمار والانتهاكات تجاه الشعب الاعزل, فتقدم الفنانة نفسها أدائياً بواسطة الجسد كعلامة ايقونية تحمل دلالات ضمنية من خلال العرض المقدم حيث يصبح النظام البنائي الوحيد الذي يثبت من خلاله الرسائل والاشارات الى المتلقي , وهنا تصبح الفنانة العنصر الأساس في صناعة العمل الفني , معتمدة على عناصر رئيسية لتأسيس المشهد الكلي (الفنانة نفسها – الجدار العازل – المكان/ المتمثل ب الضفة الغربية- اسلاك شائكة) عما يشير كل منها لمعان تساعد بعضها في ابعاث المعنى الكلي للعمل كرمز للنضال والصبر والقوة في المقاومة ، لتؤكد على محورية دور المرأة كصفة في الحياة عموما ودرورها في مقاومة الاحتلال الاسرائيلي إذ تتصدى الفنانة لقضية من أهم قضايا الواقع السياسي والإجتماعي الفلسطيني المعاصر من خلال القاء الضوء على واحدة من أشد الممارسات الإستعمارية على المجتمع الفلسطيني وهو جدار الفصل العنصري الذي قطع الجغرافية الفلسطينية وفصل بين أبناء المجتمع الواحد وبوسيلة فنية معاصرة تعد لغة خطاب تستطيع أن تصل بمفهومها وأدواتها المعاصرة إلى مستوى اللغة العالمية , فاستعمال الفنون المعاصرة ولاسيما المفاهيمية تستطيع أن تجد لها طريقاً معبداً للوصول الى تحقيق غاياتها في كشف الحقيقة وكان جدار الفصل العنصري بما يفرضه من قسوى تجاه الشعب الفلسطيني موضوعاً احتل وجدان الإنسان الفلسطيني والفنان كمقاتل سلمي يقف بأساليبه المتعددة لإيصال الحقيقة التي تتحقق فنيا كشيء يتم التوقف عنده والتأمل فيه , فالعمل الفني هنا يمثل نوعا من المقاومة الفلسطينية من حيث ان الواقع المعروض انما يعرض الحقيقة التي تترك المتلقي متأملاً فيه , فتقدم رائده سعادة الواقع بأدائها ل كشفه للعيان وتبيان حقيقته وتركه يوجد ويظهر ,فيتحول الفن الى مايراه الفيلسوف الالماني (هايدجر) تقديم الحقيقة بواسطة لغة الفن لأن محاولة فصل الفن عن الواقع يؤدي الى افراغه من محتواه وحصره في نطاق خيال بحت فيغدو مجرد إمتاع للحواس واثارة للإنفعالات فالفن هو صيرورة الحقيقة وحدوثها . وتشير قراءة العمل الفني المبنى على حالة العرض اولاً لواقع المجتمع الفلسطيني الذي أصبح الممارسات الصهيونية جزءا من ثقافته وواقعة اليومي, والتركيز ثانياً على محاولات التشبث بالمكان(الوطن) والوحدة بين المجتمع الواحد, المجتمع المرتبط بروابط التاريخ والحضارة بكل تفاصيلها , فيغدو العمل راصداً لحالة ومقاوماً بسلاح ثقافي معاصر .

مجلة فنون البصرة – ملحق العدد (٢٥) السنة ٢٠٢٣ ISSN : (Print) 2305-6002 : (Online) 2958-1303

أنموذج (٤)

اسم العمل : العودة من الصيد

الفنان: دينا مطر

الخامة : اكريلك على كانفاس

السنة : ٢٠١٥

المصدر: https://www.emaratalyoum.com/

يظهر العمل مشهدا يتألف من امرأتين ورجل وبشكل مواجه للناظر وباسلوب مسطح يستدعي الأسلوب الإسلامي في التصوير ومحملاً بالعديد من الدلالات التي ضج بها العمل الفني والتي تشير بدورها إلى إن الموضوع المصور يحمل أبعاداً ذات مضامين ثقافية مستمدة من الثقافة الفلسطينية تطرح الفنانة في هذا العمل رؤية واقعية وبسيطة للحياة الفلسطينية من خلال تطويع الرموز ذات البعد الثقافي من خلال ترجمات تشكيلية تعبر عن احساسها وميوله وتمسكها بتراثها , فاللوحة التشكيلية إطار يحمل صياغة الفنان لأشياء يتصورها وهو يقوم بتركيبها تركيبا فنيا يمنحها ملمحاً جمالياً ودلالياً يستدعي التأمل والوقوف وخطاب مرسل يحمل بين طياته معان ترسل عبر أساليب فنية ورموز مستحضرة لتكمل المشهد الدال والمرسل ففي هذا العمل تقدم الفنانة مشهداً يحاكي أحد الأعمال التقليدية للمجتمع الفلسطيني وهي مهنة الصيد ذات المزاولة العريقة , فالمهن بما تحمله من مضمون ثقافي يحمل خصوصية المجتمعات التراثية التي يشكلها تاريخ هذه الحرف الشعبية ومما يمنح العمل الفني إشارة مشتركة مع بقية العناصر التشكيلية لتتمة الخطاب, وقد اعتمدت الفنانة على بعض العناصر المشيرة بدورها إلى العنصر الرئيسي المستحضر المتمثل بـ(مهنة الصيد) منها وجود شبكة الصيد التي تظهر على كتف الرجل وسلال الأسماك المصطاده التي تحملها النسوة من أجمل تقديم ما يكمل الصورة التي تمنح ذلك المشهد المعنى وقد إتسم العمل بالواقعية ونفذ وفق الأسلوب الإسلامي حيث الأشكال مسطحة وإستخدم الفنان الهالة البارزة في الفنون الإسلامية بغية التركيز على أشكالهن, وقد قامت الفنانة صياغة شخوص العمل بأسلوب مسطح خالية من الظلال (البعد الثاني), مع التأكيد على البعد من خلال تسلسل وجود الشخوص وفق منظق الحجوم وفق تسلسل عمودي , فيما تؤكد الفنانة على اللباس التقليدي الفلسطيني بألوانه البراقة والمزخرفة وبالأسلوب التقليدي , فالأزياء جزء مهما في منظومة العادات والتقاليد وتعد من أكثر العناصر تعبيرا عن التراث المادي, ودعمت الفكرة بالمزيد من الاشكال ذات الدلالة منها عدد من المقتنيات التراثية كالفخارة واباريق الشاي وما تمثله هذه القطع من ارث مادي حضاري , فقد إستغلت الفنانة هذا العنصر للتعميق الفكرة ضمن خطاب الثقافي الذي يحمله العمل الفني ضمن الخارطة التشكيلية التي قدمتها وتطويع كل ما يمكن إستغلاله من عناصر معبرة عن ذلك التراث الثقافي من أجل خلق رؤية بصرية معبرة عن موضوع العمل ووفق قيمة جمالية تكمن في تطويع الرموز في تجسيد ووصف الحياة الطبيعية والاجتماعية والثقافية من خلال تلك الترجمات التشكيلية, .فالفنانة تضج عملها بكل ماهو ارثي وعقائدي وثابت ضمن الثقافة الشعبية الفلسطينية فعمدت ايضاً الى توظيف الكتابة العربية أحد أهم عناصر اللوحة التشكيلية الإسلامية, فتضمن العمل عبارات شعبية يرددها الصيادة كعبارة (شدو الهمة) التي بدت باسلوب زخرفي أعلى العمل وبشكل افقي, فاللغة العربية بأصالتها وجمال حروفها ورشاقة انحناءاتها ونقاطها التي تثري أشكال الكتابة استخدمتها الفنانة لتضفي على عملها قيما تشكيلية وتعبيرية تثريها , كما ان عبارة (توكلت على الله) بما تحمله من مدلول إسلامي تشير بدورها إلى إستحضار الرمز الإسلامي الدلالي للعمل والمؤكد عليه من خلال العناصر الأخرى .

مجلة فنون البصرة – ملحق العدد (٢٥) السنة ٢٠٢٣ ISSN : (Print) 2305-6002 : (Online) 2958-1303

الفصل الرابع

النتائج والإستنتاجات

النتائج

١.تؤكد الأعمال الفنية على العناصر العمارة الفلسطينية بابعادها العقائدية ومن خلال الرموز الدينية كما في الانموذج (٢)

٢.للمكان حضور واسع في طروحات الفن الفلسطيني المعاصر ممثلاً عن الأرض المغتصبة الفلسطينية في الأنموذج (٣)

٣.إستخدم الفنان الفلسطيني عناصر الواقع لتصوير الواقع الفلسطيني المعاش (واقع الحرب والدمار) كما في الانموذج (١)

٤.عبر الفنان الفلسطيني عن هويته الاسلامية من خلال العديد من الأساليب منها التأكيد على العناصر الإسلامية في العمارة الفلسطينية تارة كما في الأنموذج (٢) وإستعمال الإسلوب الإسلامي في الرسم كما في الانموذج (٤)

٥.إستلهم الفنان الفلسطيني التراث والفلكلور لتمثيل الثقافة بعناصرها الفلكلورية تمسكاً بالهوية الفلسطينية كما في الانموذج (٤).

الإستنتاجات

١.قدم الفن التشكيلي الفلسطيني المعاصر فلسطين المحتلة بواسطة خصائصها الثقافية من خلال استقدام عناصرها المميزة ومنها الفلكلور من أجل التأكيد على الهوية الفلسطينية المرتبطة بهذه الأرض المغتصبة فكان لهذا الحضور الثقافي تأكيداً على الأصل الفلسطيني وحقه في الأرض .

٢.عمل الفنان الفلسطيني على فضح الممارسات الصهيونية تجاه الشعب الفلسطيني باسلوب معاصر, فتستطيع اللغة المعاصرة في الفن التشكيلي على الوصول بشكل أكبر الى العالم اجمع لطرح القضية الفلسطينية , وبيان حالة المجتمع الفلسطيني، فمصادرة الأرض، والعنف ضد الأبرياء، وقضية المعتقلين، مواد مهمة يمكن للفنان أن يجد فيها وقائع الحياة اليومية التي تعيشها الأُسر الفلسطينية، ولا سيما أن لكل أسرة في فلسطين حكاية يسرد من خلالها الفنان مشاهد مرئية تعبّر عن آلام ذلك الواقع

٣.للمرأة الفلسطينية حضوراً كبيراً في الفن المعاصر في فلسطين , فاستطاعت المرأة الفنانة تجسيد المعاناة عبر منجزاتها الفنية كما حضورها ضمن الطروحات الفنية فنراها جزء من الموضوع الفلسطيني بموازاة وجودها الكبير والعظيم في الحياة الفلسطينية وثقافتها ٤. ارتبطت الحالة الثقافية في فلسطين باهم ميزة تحمل روح الوطن الفلسطيني الا وهي المقاومة السلمية من خلال التأكيد على الارتباط الفلسطيني بثافته المعبرة عن تاريخ هذا الشعب وارتباطه العميق بالارض التي ساهمت عناصرها بتشكيل هويته عبر التاريخ .

٥.ان القراءة الكلية الرموز المستحضرة ضمن النتاج الثقافي الفلسطيني والذي يستحضر الخصوصية الشعبية بدلالاتها هو استعراض مقصود في تقديم المجتمع الفلسطيني عبر ثقافته وضمن اللغة التشكيلية لتضمينها وفق رسالة تحمل بكل مضمونها تلك الخصوصية سواءا في الاستحضار الرمزي والايقوني لمقتنيات الثقافة الفلسطينية أو الاسلوب المتخذ لتكوين العمل الفني ليتحول العمل الى صورة متكاملة لإنتاج ثقافي فلسطيني يعكس عن وعي فني في قراءة المجتمع وتقديمه وفق تشكيل بصري يقدم المجتمع ثقافيا , فالغائية في هذا العمل تبدو حاضرة في تقصد جميع العناصر المرسلة واعتبارها عناصر مبئرة دالة عن معان الموضوع المرسل عبر الخطاب التشكيلي وباسلوب جمالي

٦.ظهر ارتباط وثيق بين الفن والإنتفاضة الفلسطينية كشكل من أشكال المقاومة للاحتلال والأبعاد والتهجير والاضطهاد، كما عززت القضية الفلسطينية الهم الوطني والقومي في الخطاب الفني وباستعمال الخصائص الثقافية الفلسطينية للتأكيد على ارتباط هذا الشعب بهذه الارض .

المصادروالهوامش

[i]) العزاوي . حسين : موقف القانون الدولي من الارهاب والمقاومة المسلحة ,دار الحامد ,ط١, الاردن ,٢٠١٣, ص١١.

[ii] - الطبطبائي .محمد حسين: الميزان في تفسير القرآن ، ط١ ,ج١٤, مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ,بيروت,١٩٩٧, ص٣٦

[iiiii] - الفيروزبادي: القاموس المحيط، مج٤ ،دار العلم للملايين، بيروت ، لبنان، ب ت، ص٤٩.

[iv] - صليبا . جميل: المعجم الفلسفي،ج١،دار الكتاب اللبناني،بيروت، لبنان،١٩٨٢ ،ص٣٤٢.

[v])العامري .محمد اديب: عروبة فلسطين في التاريخ المكتبة العصرية , بيروت , ب.ت, ص١٦.

[vi]) هشام ابو حاكمة ,تاريخ فلسطين قبل الميلاد, دار الجليل للنشر والدراسات والابحاث الفلسطينية , عمان ,ب.ت, ص١٢٥.

[vii]) هشام ابو حاكمة :مصدر سابق , ص١٢٥.

[viii]) السويدان.طارق: فلسطين التاريخ المصور, الابداع الفكري ,ط١٠,الكويت, ٢٠٢١ , ص٢٥.

[ix]) الحموي.ياقوت: معجم البلدان , دار صادر , بيروت ,ب.ت ص٢٧٤.

• وردت ايضا في التوراة سفر العدد اللإصحاح الرابع والثلاثون (اوصي بني اسرائيل وقل لهم انكم داخلون الى ارض كنعان) (الكتاب المقدس ,العهد القديم, ١٩٠٩ ,الصفحات سفر العدد الاصحاح ٣٤(٢-١٢) ,كما ذكرت في القرآن الكريم بأسم (الارض المقدسة) في سورة المائدة الآية ٢١-٢٢)

[x] الخطيب.محمد :الحضارة الفينيقية, مؤسسة رسلان/دار علاء الدين ,سورية ,دمشق,٢٠١٧, ص٣٢-٢٢.

[xi])الشاذلي.محمد شعبان : الفوضى العالمية.. من العصور الوسطى الإمبراطورية الى التنظيمات السرية ,دار الكتب ,٢٠١٦ ص١٢٦.

[xii]) سورة الاسراء الآية (١)

[xiii] رمضان عبد الهادي :الفلكلور الفلسطيني بصمة لتأصيل الهوية ,مؤسسة سلطان بن علي العويس الثقافية ,الامارات العربية المتحدة , ٢٠٠٩ , ص٣٠-٣٨.

[xiv]) الزغبي. تركي قاسم :اليهود وارض كنعان , دار رسلان للطباعة والنشر, دمشق, ٢٠١٣ , ص٣٦٧.

• كان الصيد يمثل المهنة المفضلة للكنعانيون وقد ارتبط الصيد عند الكنعانيون بآلهتهم واساطيرهم ومنها الإله (صيدا) كما تروي المؤرخات ان احد ابناء كنعان (صيدون) الذي يدل اسمه على عمليات الصيد (وليد بوعديله : تاريخ الكنعانيون وتراثهم واساطيرهم ,مركز سبق الاخبار , الجزائر ,٢٠١٩/١/١١ /https://www.sabqpress.dz

[xv]) رولا عبد اللإله علوان: تطبيقات المحايثة في الخزف النحتي العراقي المعاصر, مجلة فنون البصرة-العدد(٢٣), البصرة ,٢٠٢٢, ص٨٨.

[xvi]) عجوج فاطمة الزهراء:المكان ودلالته في الرواية المغاربية المعاصرة , اطروحة غير منشورة مقدمة الى مجلس كلية اللآداب ,جامعة جيلاني لياس ,, سيدي بلعباس, الجزار , ٢٠١٧, ص١.

[xvii]) ياسين وامي ناصر : تمثلات الهوية الع اقية في الفن التشكيلي بعد عام ٢٠٠٣,مجلة كلية التربية الاساسية ,مج ٢٤ _ العدد ١٠٢-٢٠١٨ ص ٧١١

[xviii] -أزهر داخل محسن : الموروث الحضاري واثره في التشكيل العراقي المعاصر , رسالة ماجستير , جامعة البصرة , كلية الفنون الجميلة , ٢٠٠٢,ص٨٠

[xix][xix]) عمرو محمدعبد الله : ثقافة المقاومة في مسرح الطفل الفلسطيني(مسرح حديدون والغولة تموذجا) , مجلة العلوم التربوية –العدد الرابع –ج١/اكتوبر ٢٠١٩, ص٤٧٥.

[xx]) فؤادحسنين علي : المجتمع الاسرائيلي حتى تشريده , دار العالم العربي , جامعة الدول العربية ,معهد الدراسات العربية العالمية ,م صر ١٩٦٦, ص٦٨.

• تعتبر اتفاقية اوسلو منعطفاً مهماً في مسار القضية الفلسطينية انهى فيه النزاع المسلح مع الاحتلال, وكان نتيجة اتفاق وقعته منظمة التحرير الفلسطينية مع الكيان الصهوني في واشنطن ١٩٩٣ , والتي بدأت بمحادثات سرية في مدينة اوسلو النرويجية ١٩٩١, اانتهت بسلام بين الجهتين و الاعتراف بممثل يمثل بمثابة حكومة شرعية كاملة الصلاحيات للشعب الفلسطيني ينظر (ممدوح نوفل : قصة اتفاق اوسلو (الرواية الحقيقية الكاملة) , الاهلية للنشر والتوزيع ,ط١, المملكة الاردنية الهاشمية , عمان , , ١٩٩٥) .

[xxi]) جوابرة. نصر: البنية الفكرية للفن التشكيلي المعاصر في فلسطين , رسالة ماجستير منشورة ,جامعة بغداد ,العراق, ص٤١.

مجلة فنون البصرة – ملحق العدد (٢٥) السنة ٢٠٢٣ ISSN : (Print) 2305-6002 : (Online) 2958-1303